بهم واطلاق التهم المغرضة ضدهم (ص١٢٧). والكاتب يتصدى لهذه التهم ببساطة الانسان الموضوعي الصادق في البحث عن حقائق الأمور، محاولاً دحض هذه التهم، من خلال تجربته الشخصية مع العرب، وما لمس بهم من ذكاء وقدرة على العمل وسعي إلى المعرفة والعلم (ص١٢٨ ــ ١٣٠).

ويعرض الكتاب في فصله التاسع إلى مسألة قناة السويس، ويُعالج مجمل الاتصالات الدولية والعربية والاسرائيلية المتعلقة بها ودور الأمم المتحدة وقوات المراقبة الدولية في هذه الاتصالات. أمّا الفصل العاشر فقد استعرض تصاعد التوتر بين مصر واسرائيل والمداولات التي حصلت بهذا الصدد، خاصة فيما يتعلق بقناة السويس وغيرها من المشاكل العالقة بين مصر واسرائيل حول الحدود والمرافق الحيوية. كما تناول الفصل مجمل التطورات في البلدان العربية الأخرى المجاورة لاسرائيل، كالاردن مثلاً، حيث تحدّث عن معركة الكرامة؛ خطف الطائرات؛ الاعتداءات الاسرائيلية التي حاولت تدمير قواعد لفتح (ص١٥٤ ــ ١٥٥)؛ حوادث تدمير قرى حدودية سورية من قبل اسرائيل؛ تصاعد التوتر أكثر فأكثر على خط القنال؛ العمليات الفدائية في القدس، وغيرها من المناطق ضد أهداف اسرائيلية؛ الاعتداء الاسرائيلي على مطار بيروت الدولي وردود الفعل العالمية ضده؛ حوادث القنص واطلاق النار والتلغيم على ضفتي القنال بين مصر واسرائيل (ص١٥٩)؛ وعن حرب الاستنزاف بين مصر واسرائيل كتب المؤلف في الفصل الحادي عشر، يروي تفاصيل الأحداث والوقائع الممهدة لهذه الحرب والتي وصلت ذروتها في العام ١٩٦٩، عندما أصبح خرق وقف اطلاق النار شبه يومي. وهو يشير إلى أن المصريين كانوا في بداية الحرب هم الذين يبدأون باطلاق النار، غير أنه في رسالة له موجهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة يكتب عن أهداف المصريين من وراء ذلك، ليذكر منها: شد الانتباه إلى خطورة الوضع؛ السعي إلى رفع معنويات الجيش المصري واختبار فعالية السلاح المصري؛ عرقلة بناء التحصينات الاسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة (ص١٦١).

ولا يغفل أ. بول الاشارة إلى الظروف الصعبة («Nightmare conditions») التي عمل فيها المراقبون الدوليون إزاء كل ما تقدم، حيث الصعوبات والمعيقات كثيرة والتضييق بين الاطراف شبه مستحيل. وقد سجل المؤلف عبارة اشتهرت عن زملائه المراقبين، حيث قالوا: «لقد جئنا إلى هنا لنبعث بتقارير ولنراقب هدنة، ولكننا وجدنا أنفسنا الآن في وضع مراقبة حرب. ألم يحن الوقت لكي يصلنا تكليف جديد من قبل مجلس الأمن؟!» وينتقل الكاتب في معرض هذا الفصل للحديث عن الهجوم الاسرائيلي ضد مصر العليا في الأول من أيار من العام ١٩٦٩، حيث تركز هذا الهجوم على الجسور وعلى خطوط الطاقة الكهربائية. ثم يتحدث عن إحراق مسجد الاقصى في القدس من قبل صهيونيين متعصبين وضرب خط أنابيب البترول (TAP-Line)، من قبل فدائيين فلسطينيين. هذا الخط الذي تملكه الولايات المتحدة الأميركية، ويربط حقول البترول في السعودية مع البحر في لبنان. ويعتبر الكاتب أن الحدثين الأخيرين أسهما بشكل ملحوظ في تصعيد التوتر في المنطقة في صيف العام ١٩٦٩ (ص١٦٨)، كما وصل التوتر إلى ذ"ن، حيث وقعت اشتباكات بين الجيش اللبناني والفدائيين الفلسطينيين.

وفي الفصل الثاني عشر والأخير، يتوصل الكاتب إلى دروس مستخلصة من تجربته كرئيس للمراقبين الدوليين، حيث يشير إلى أن خدمته في هذا المجال لأكثر من ٧ سنوات، دفعته إلى صياغة بعض المبادىء العامة التي يعتقد ضرورة تبنيها في حال إرسال مراقبين لعمليات حفظ للسلام مشابهة لتلك التي قام بها. وقد لخصها المؤلف في اثنتي عشر نقطة، منها ما يتعلق بمجال تخصصه المهني ومنها ما يمكن الاشارة إليه كمبادىء عامة ارتآها المؤلف ضرورية في اختيار المراقبين الدوليين؛ فهو يركز على ضرورة تمتع رئيس القوة الدولية بصيادية مطلقة وأنه لا يكفي فقط إرسال مراقبين دوليين بل أيضاً وضع قوات دولية عسكرية تدعم فعالية المهمة الدولية في المناطق منزوعة السلاح بين الأطراف المتنازعة في أي مكان من العالم توسل إليه هذه البعثات. وضرورة تخطيط الحدود بوضوح حيث يكون هؤلاء المراقبون. ويقترح كذلك جلب خبراء من الأمم المتحدة نفسها وليس من الجهات المعنية بالصراع. وأما بالنسبة للعاملين في الأمم المتحدة، فعليهم أن يدركوا ان الامور ليست أسود وأبيض، فكل شيء يحتوي على ظلال رمادية، لكن «هناك استثناء واحد للقاعدة أرغب في وضعه، تبعاً لتجربتي الشخصية وهو إن أحوال اللاجئين الفلسطينيين هي وحدها التي يلفها السواد الكامل». [إشارة إلى صعوبة ظروف هؤلاء اللاجئين]